إيملي كونستنس جونز[1]
(1922 - 1848)

سيرة فيلسوفة ومسار فلسفي في المنطق والاخلاق

د. نداء إبراهيم خليل
باحثة من كندا

تقديم:

إن هدف هذا المقال، هو التعريف بشخصية الفيلسوفة الإنكليزية المعاصرة "إيملي جونز" وبيان مساهمتها في العمل الفلسفي في مجراه العام، وفي الوقت ذاته تحديد مكانتها في ميدان العمل الفلسفي النسوي (الفمنستي) المعاصر. وكيف إنها تمكنت من تأسيس نفسها أكاديمياً وصعودها إلى الطوابق العالية للفلسفة رغم قوة وسطوة الفكر والتقاليد الماسوجينية في عصرها، بل وحتى في داخل عائلتها وفي بيئة العمل الأكاديمي؟ وكيف ان صوتاً نسوياً قوياً في داخل عائلتها لعب دوراً مهماً في فتح أبواب الحياة الجامعية لها من جديد بعد إن سدت العائلة أبوابه وفضلت فتحها لصالح إخوتها الأصغر سناً منها؟ وكيف إن أصوات أكاديمية مناصرة بحدود ما للعمل النسوي الأكاديمي سهلت مهمة الفيلسوفة الشابة إيملي أن تخوض مضمار العمل الأكاديمي وتقف نداً لزميلين لها من الفلاسفة الكبار من أمثال جورج مور

1 جاء هذا المقال حصيلة مناقشات مع أستاذي الفيلسوف الدكتور محمد جلوب الفرحان، الذي فتح ذهني من خلال مقالاته عن مكانة المرأة الفيلسوفة في تاريخ الفلسفة اليونانية خاصة والفلسفة الغربية عامة، ومن ثم وجه إهتمامي بالفلسفة الفمنستية. فله مني جزيل الشكر والتقدير.

وبرتراند رسل وإن تتنازع بجدارة مع عالم المنطق الألماني "جوتلوب فريجه" في الأسبقية في صياغة نظرية الذاتية وتطبيقاتها في منطق القضايا؟ والسؤال المفتاح: ما هي البطاقة الشخصية للفيلسوفة الإنكليزية المعاصرة "إيملي جونز"؟ ولدت "إيملي إيلازبيث كونستنس جونز" في مقاطعة ويلز الإنكليزية عام 1848، وكانت أكبر أطفال العائلة العشرة. وإنتصاراً لصوت إيملي النسوي الذي بقصد ودون قصد قد تم طمره من قبل الدراسات والأبحاث وبدلاً عنه فضلوا إستخدام "جونز" إسماً لها. فأن هذا المقال يعيد الإعتبار للفيلسوفة إيملي إسمها النسوي الحقيقي. وسيتم تداوله عبر أوراقه إطلاقاً.

يهدف هذا المقال إلى تقديم إجابة عن التساؤلات الآتية:

أولاً – ماهي القراءات والإهتمامات الفكرية المبكرة التي شملت مكونات التعليم الذاتي التي أنجزتها الفيلسوفة الشابة إيملي؟

ثانياً – ما هي طبيعة المسارات التي مرت بها الفيلسوفة إيملي في دراستها العالية وتخصصها المهني؟

ثالثاً – ما إتجاهات أعمالها الأكاديمية والمهنية؟

رابعاً – ما مكانتها في علم المنطق؟

خامساً – ما مساهمتها في الفلسفة الأخلاقية؟

القراءات والإهتمامات المبكرة

يلاحظ الباحث في سيرة الفيلسوفة إيملي جونز المبكرة، خصوصاً في السنوات المبكرة من مراهقتها، إنها ركزت على النتاج الفكري والأدبي الألماني والفرنسي. ويبدو إنها لم تقرأ هذا النتاج في ترجماته الإنكليزية، بل قرأته باللغتين الألمانية والفرنسية. مما يمنحنا شهادة على القول إن ميول وإهتمام الفيلسوفة إيملي كان لصالح اللغات الأجنبية وأدابها. كما إن هذه الشهادة تؤكد على إن هذه الميول نمت في خارج بلدها إنكلترا حيث صرفت في جنوب أفريقيا فترة من حياتها هناك.

وفعلاً فقد عاشت الفيلسوفة إيملي في بواكير مراهقتها التي تمتد ما بين 1861 و1664 في منطقة تبعد ثلاثين ميلاً خارج مدينة "كيب تاون" في جنوب أفريقيا. وتعلمت هناك اللغة الألمانية، فقرأت مؤلفات كبار الفلاسفة الألمان من أمثال

فيلسوف التربية الجمالية "جوهان شيلر" (1754 – 1805)، وكتابات "جوهان غوته" (1749 – 1832)، واللذان تعاونا في أكثر من عمل، وأوكل الأول الثاني لأكمال بعض الأعمال التي لم يتمكن من إكمالها.

ومن ثم تعلمت اللغة الفرنسية، فقرأت أعمال ثلاثة من أكبر كتاب التراجيديا الفرنسية في القرن السابع عشر، وهم كل من "جان مولير" (1622 – 1673)، و"جان راسين" (1639 – 1699) و"بيير كورنيل" (1606 – 1684). كما إنها قرأت الكتابات المتنوعة الألوان للفيلسوف الفرنسي التنويري في القرن الثامن عشر "فرانسوا ماري فولتير" (1694 – 1778).

وتطورت لديها ملكة تذوق تعليم اللغات، والأدب، الموسيقى والرياضيات مع نمو مستقل لشخصيتها وتفكيرها. تقول عن الفترة المباشرة لعودة العائلة من جنوب أفريقيا، والتي كتبتها في سيرتها:

"أخذت أستخدم عقلي، وأنا كنت أعرف كيف أكتسب المعرفة، سواء من المدرسة (جزئياً) أو مما يكتب في المقالات، ومن المجتمع الذي أنتمي إليه. وتعلمت العلم الأخلاقي بصورة رئيسية من الكلية. وهكذا تعلمت ما يمكن تعلمه أو ما كان يقدم في دروس التعليم" (أنظر: ماري ألين وايت؛ تاريخ الفيلسوفات (بالإنكليزية شارك في كتابته عدد من الأكاديميات النساء وبإشراف الفيلسوفة الأمريكية ماري وايت)، نشرة مطبعة كولير للنشر الأكاديمي، هولندا 1995، المجلد الرابع، ص 25 وما بعد).

دراساتها العالية وتخصصها المهني

بدأت الملامح الأولى لتوجهات الفيلسوفة إيملي المهنية، تأخذ طابعاً أكاديمياً ومهنياً، لحظة عودتها من جنوب أفريقيا. وفعلاً سجلت في الدراسة لمدة سنة في كلية البنات في شلتنهام. وتركزت دراساتها حول اللغات وعلم الحساب إضافة إلى اللغة الإيطالية. وتقريباً عند بلوغ الفيلسوفة الشابة إيملي التاسعة عشرة ربيعاً، تكون قد أكملت دراساتها الأكاديمية. ومن ثم قضت السنوات اللاحقة في بيت والدها.

ولما كان قدر إيملي إنها بنت، فقد لعب جندرها دوراً معوقاً في تعليمها. فمن المعروف إن المجتمع الإنكليزي يومذاك محكوم بسطوة الرجل على حاضر ومستقبل

العائلة. لذلك إهتمت عائلة إيملي بتعليم أخيها الأصغر، وإعتبرته من أولوياتها وعلى حساب تعليم إيملي على الرغم من إنها الأكبر سناً.

ولعبت الظروف دوراً مهماً في حياة إيملي، وتوجيهها الوجهة التي تتطلع إليها أية أمرأة في عصرها المرهون بإشتراطات كثيرة فيها من التعويق لتعليم المرأة وتوجهاتها المهنية. هذه الظروف تمثلت بشاب يدرس في كيمبريدج، وكان صديقاً لإخ إيملي. فقام بتقديمها إلى "حوليات فاوست للإقتصاد السياسي" والتي أثارت إهتمامها بالفلسفة الأخلاقية. وفيما بعد إستعارت أيملي من والدة هذا الشاب كتاباً سيلعب هو الأخر دوراً بالغ الأهمية في توجهات إيملي المهنية. وهذا الكتاب هو "علم المنطق عند جون ستيوارت مل". وهو المضمار الذي ستتصدر فيه الفيلسوفة إيملي وتكون بمصاف فلاسفة عصرها من أمثال الألماني "جوتلوب فريجه" والإنكليزي "برتراند رسل" التي تقدمت عليه في التأليف في حقل المنطق عامة وبزت كلاهما في ميدان المنطق القضائي. وكذلك فان الفيلسوفة الشابة كانت رائدة أكاديمية في دائرة الفلسفة الأخلاقية.

وهكذا لعبت الظروف من خلال هذا الشاب، إلى تقديمها المبكر إلى مضمار الفلسفة الأخلاقية. وفعلاً فأن إيملي قررت متابعة دراساتها الأكاديمية للحصول على درجة: ترابياص = درجة الشرف). وشملت فصول الدراسة؛ الفلسفتين السياسية والأخلاقية، و"الفلسفة العقلية" (والتي شملت علم النفس، الميتافيزيقا والأبستمولوجيا)، وعلم المنطق، والإقتصاد السياسي. وكانت دراساتها تحت إشراف كل من الأساتذة "هنري سيدجويك"، "جيمس ورد" و"جون نيفل كينز".

ومن النافع أن نشير إلى إن إيملي قد تلقت تشجيعاً من عمتها في مشروعها لإكمال دراساتها في كيمبريدج. فقد تعهدت العمة "السيدة كولينز" رغم بعض الصعوبات، في تغطية نفقات دراستها الجامعية. وكانت العمة يومها متحمسة جداً لفكرة بنت أخيها على الحصول على التعليم العالي في كلية كرتن، خصوصاً إذا وضعنا في الإعتبار إنها "أول كلية للبنات في ذلك العصر". وفعلاً بدأت إيملي تعليمها الجامعي في كيمبريدج في إكتوبر من العام 1875، على الرغم من تفضيل عائلتها لمصلحة إخوتها الصغار في التعليم على حسابها. ولكن كان لهذا التأخير من

الأثر على مكانتها المهنية وذلك لأنها ضيعت بعض الفصول الدراسية. ولكن هنا جاء التأخير برياح محملة بالكثير من الفرص التي تتناغم وتطلعات إيملي. فقد إكتسبت سمعة أكاديمية وذلك عندما تقدم الأستادين سيدجويك وورد بتوصية على منح إيملي فرصة إكمال ترجمة القسم الذي تركته إيلزابيث هيملتون لكتاب الفيلسوف والمنطقي الألماني هيرمان لوتزه والحامل على درجة طبيب كذلك.

وهكذا كانت الخطوة الأولى في عمل إيملي الأكاديمي، هو القيام بالترجمة، فقد عرض عليها إستاذيها هنري سيدجويك وورد، وبعد معرفتهما من تمكنها من اللغتين الألمانية والفرنسية منذ نعومة أظافرها، أن يكون بحثها للتخرج هو إكمال ترجمة القسم المتبقي من الترجمة الذي تركته "إليزابيث هيملتون" لكتاب "هيرمان لوتز" المعنون "مايكروكوزم".

وفعلاً أصبح خصوصاً عرض الأستاذ سيدجويك وصية نفذها الفيلسوفة الشابة بكل تفاصيلها. وبعد إكمال النصف المتبقي، ظهرت الطبعة الأولى عام 1885 (والترجمة المتداولة في الإنكيزية؛ هيرمان لوتزه: مايكروكوزم: مقالة تتعلق بالإنسان وعلاقته بالعالم، ترجمه من الألمانية إليزابيث هيملتون وإيملي إليزابيث جونز، نشرة مطبعة سيكربنر ويلفورد، نيويورك 1885 في مجلدين).

ومن المفيد الإشارة إلى إن إيملي تخرجت من كرتن/كيمبريدج بعد إكمال دراساتها في العام 1880 وبالمرتبة الأولى.

أعمالها الأكاديمية والمهنية

لقد رأت الفيلسوفة إيملي عملها الأول (وبالمشاركة مع إيلزابيث هيملتون) ينشر في أربعة طبعات في حياتها. كما إن نشرته الأولى قد أشار إليها برنارد بازنكوت في الترجمة التي قام بها لكتاب هيرمان لوتزه المعنون "الميتافيزيقا والمنطق".

بعد تخرج إيملي بأربع سنوات، وبالتحديد في العام 1884 وجهت لها الدعوة بتدريس علم المنطق في كلية كرتن التي تخرجت منها. وخلال هذه الفترة تحول إهتمامها صوب مضمار ما سيعرف بالفلسفة التحليلية. إن نمو ملاحظات إيملي في دروس المنطق، كونت في فترة لاحقة مادة كتابها المعنون "تمهيد لعلم المنطق" ومن

ثم تحول إلى كتاب مدرسي حمل عنوان "علم المنطق الأولي" والذي نشر في العام 1905. ومن ثم أصبحت محاضرة مقيمة في الكلية.

كما وشغلت الفيلسوفة إيملي مناصب إدارية في كلية كرتين. فمثلاً أصبحت في العام 1896 نائبة رئيسة كلية كرتن. وبعد تقاعد الرئيسة "السيدة ويلش" في العام 1903 أصبحت الفيلسوفة إيملي رئيسة كلية كرتن للبنات في جامعة كيمبريدج. ومن النافع الإشارة إلى إن فترة رئاسة الفيلسوفة إيملي لكلية كرتن كانت فترة خصب وإزدهار. فقد كانت الكلية لحظة إستلام رئاستها تعاني من ديون تقدر في عام 1903 بثلاث وأربعين ألفاً باوند. وعندما تقاعدت إيملي في العام 1916 كانت الكلية حرة من الديون. بل وتصاعدت المنح الدراسية والمساعدات المالية للطلبة. كما شغلت إيملي لسنتين متتاليتين (1914 – 1916) رئيسة الجمعية الأرسطية. وكانت ناشطة في الكتابة في نادي العلوم الأخلاقية في جامعة كيمبريدج.

عملها في علم المنطق

ما هي مكانة الفيلسوفة إيملي في مضمار علم المنطق؟ وهل كانت متقدمة تاريخياً ومنطقياً في قانون الذاتية على المنطقي الألماني جوتلوب فريجة وعلى الأنكليزي برتراند رسل؟ أشرنا إلى إن إيملي بعد تكليفها بتدريس مادة علم المنطق في كلية كرتين، نشرت كتابها الأول الذي كان بعنوان "تمهيد إلى علم المنطق" الذي نشر عام 1905. ولكن في الحقيقة إن تطور نظرياتها المنطقية تصعد إلى أبعد من هذا التاريخ بكثير. فمن الملاحظ إن وجهة نظرها المنطقية في مضمار "القضايا الحملية" أخذت تتطور في خط تصاعدي ومنذ نهاية الثمانينيات من القرن التاسع عشر. ومن ثم تشكلت في صورتها النهائية في العام 1889 والتي نشرت في كتاب في السنة اللاحقة وبعنوان "مبادئ علم المنطق كعلم للقضايا" والذي طورت فيه قانون الذاتية. ولاحظ الدارسون في مضمار المنطق، إن الفيلسوفة إيملي كانت من التواضع فيما يخص الأفكار البالغة الأهمية التي قامت بتطوريها والتي دشنت فيها جادة بحث منحها الريادة بين علماء المنطق في عصرها.

ولعل الشهادة على ذلك جاءت من زملاء وفلاسفة من أمثال "ستوت" و"شيلر" واللذان كانا ينظران إلى إكتشافها بتقدير عال وذلك من حيث "إن

أفكارها كانت من الأهمية في مضماري علم المنطق والتحديدات الجارية فيه". كما إن أفكار الفيلسوفة إيملي قد تركت أثاراً واضحة على برادلي، والذي قام من طرفه ببعض التحويرات في وجهة نظره حول الذاتية. وفعل ذلك كينز الذي تبنى مفهومها في الذاتية.

ولعل من كتبها المنطقية التي لاقت إقبالاً وروجاً عريضاً، كتابها المعنون "قانون جديد للفكر وأبعاده المنطقية" والذي نشرته مطبعة جامعة كيمبريدج في عام 1911، وظهر بمقدمة طموحة كتبها البروفسور ستوت. كما لقي إستقبالاً وإستحساناً عاليين من قبل مجلة "العقل". وكان المراجع للكتاب البروفسور "شيلر" والذي قال عن الكتاب بالحرف الواحد: "لقد أنجزت السيدة إيملي جونز إكتشافاً عظيماً".

أما ما يخص السؤال الثاني ففي الحقيقة إن عدداً من الباحثين قد لاحظوا إن رسل الذي كان تلميذاً في كيمبريدج، قد قدم نظرية الفيلسوفة إيملي في الذاتية، على إنها نظريته. ومن ثم مر الوقت فجاء من نبه إلى نظريته كانت مسبوقة بجهود جوتلوب فريجه. وهكذا حصل الإعتراف لفريجه بالسبق. ولكن هذه النظرية في حقيقتها هي من تطوير الفيلسوفة إيملي التي أغمط حقها دون وجه حق سوى إنها صوت فلسفي نسوي هادئ متواضع والواقع إن عمل إيملي المهني في تطوير قانون الذاتية متقدم تاريخياً ومنطقياً على ما قام به فريجه ومن ثم لاحقاً ما عمله رسل عندما تحدث عن معنى الحد وإمتداداته. وإن الإحالة إلى 1910 وما قامت به إيملي في العام 1890 وأعمالها المتتالية توضح هذا الحق المهدور. تقول إيملي:

"لقد توصلت، على حد ما أعتقد، إلى نتائج مهمة ومتطلعة (وكما يبدو لفريجه الذي أيد رسل وجهات نظره). فأن البرفسور ج. أف. ستوت هو الذي ساند مغامرتي المنطقية بحميمية عالية. والآن أعتقد بأنني توصلت إلى الحل الصادق والموقف الواضح، الذي لا يترك للرغبة شيئاً بخصوص القضايا الذي جرى العمل فيها في مياه هادئة" (من محاضرة بعنوان: في طبيعة الكليات والقضايا، ديسمبر 1921). ومن الثابت القار تاريخياً إنه بعد إن عينت الفيلسوفة إيملي نائبة لرئيسة كلية كرتين في العام 1896، فإن كتابها "مبادئ علم المنطق" أصبح معروفاً خارج بريطانيا. وبالفعل فإن جامعة ميامي قد حصلت على نسخة من الكتاب، وهي

السنة التي إلتحق رسل بالجمعية الأرسطية. وكلاهما قد نشرا في العام 1890 بحثاً في الجمعية. ولكن لم يظهرا في مجلة الجمعية، بل نشرا في مجلة "العقل" فيما بعد.

وفي العام 1897 عاد رسل من ألمانيا والولايات المتحدة، وأكمل إطروحته المعنون "مقالات في أسس الهندسة" وفيها تبنى رسل وجهة نظر برادلي الذي إعتقد إن كل الحجج تتضمن قانون الذاتية. والحقيقة إن برادي إقتبس من الفيلسوفة إيملي قانون الذاتية، ويعترف إنه حور مفهومه بناءً على ما قدمته الفيلسوفة إيملي. وهذا الأمر نبه إليه كل من "كريفن" و"لويس". إذن طريق رسل في تبني مفهوم الفيلسوفة إيملي في قانون الذاتية، جاء عن طريق برادلي وليس كما زعم رسل من خلال إكتشاف فريجه.

ولكن يظل السؤال الملحاح: لماذا صمت رسل طويلاً، وصمم على الصمت، و لم يعترف بمكانة إيملي في تاريخ علم المنطق عامة ونظرية الذاتية خاصة؟ يرجح الباحثون إنه مجرد تجاهل. فمن المعروف إن معلمها البروفسور ورد، وبطلها البروفسور ستوت، كانا كلاهما معلمي برتراند رسل في كيمبريدج هذا أولاً. وثانياً إن رسل كان قارئ دائم للمجلات التي تنشر فيها الفيلسوفة إيملي جونز. وثالثاً إن الأثنان كانا ينشران معاً في مجلة العقل وفي دورية الجمعية الأرسطية وفي نادي العلوم الأخلاقية في كيمبريدج. إذن كان رسل عارفاً بالتأكيد بالفيلسوفة إيملي جونز والسؤال: هل معرفة رسل إكتفت بالمعرفة الشخصية و لم تتقدم نحو قراءة ما كتبت؟

في ضوء كل هذه الحقائق جاء جواب الباحثين على صيغة تساؤلات مقابلة وليست إجابات حقيقية. فمثلاً تساؤلوا: هل إن هذا الإهمال من قبل رسل يعود إلى إنه عارف بقانون الذاتية؟ وهل إن ما قامت به السيدة إيملي جونز بلغة رسل هي أبحاث عادية متداولة؟ ولكن: لماذا إتكأ رسل على الألماني فريجه، ودار ظهره إلى إنجازات معاصرته في كيمبردج الفيلسوفة إيملي؟ وهي الإنجازات التي يعلي من مكانتها أساتذته اللذين هم في الوقت ذاته أساتذة الفيلسوفة إيملي.

وأخيراً فقد واجه فيليب جوردن الفيلسوف رسل في رسالة بعثها له في 5 سبتمبر عام 1909 والمرفقة بدراسة مسحية عن عمل فريجه. والتأييد الذي قام به كينز لعمل الفيلسوفة إيملي خصوصاً للفترة ما بين عام 1882 وعام 1890. فرد

عليه رسل قائلاً: "يبدو مما تقوله في رسالتك إن هناك تشابه كبير بين السيدة (إيملي) جونز وفريجه. ومثل هذا التمييز متداول ومعروف في مضمار علم المنطق. وأنا لم يكن متوافر عندي لا كينز ولا السيدة جونز. وسوف أنظر في هذه النقطة". إذن صمت ودوران وتأجيل من قبل رسل.

أما ما يخص جوتلوب فريجه والفيلسوفة إيملي وعلاقتهما بإكتشاف نظرية الذاتية. فقد لاحظ الباحثون إن كلاهما قد توصل إلى نظريته بطريق مستقل. وكأن التاريخ أعاد نفسه مرة أخرى. فأن ما حدث بين نيوتن ولايبنز حول إكتشاف حساب التفاضل والتكامل. تجدد مرة أخرى فتوصلت إيملي ومن ثم فريجه إلى صياغة نظريتهما في الذاتية بطريق مستقل عن الآخر (أنظر: محمد جلوب الفرحان؛ جوتلوب فريجه: فيلسوف اللغة وعالم المنطق الرمزي/مجلة أوراق فلسفية، العدد الأول).

مساهمتها في الفلسفة الأخلاقية

بدأت إعمال الفيلسوفة إيملي في مضمار الفلسفة الأخلاقية، منذ إن كانت طالبة في كلية كرتن في جامعة كيمبريدج وتحت إشراف البروفسور هنري سيدجويك الذي لعب دوراً بالغ الأهمية في تلوين شخصية طالبته الموهوبة إيملي وأثر في رسم توجهاتها الأكاديمية والبحثية. وبإيجاز إن ألبروفسور سيدجويك هو فيلسوف نفعي إنكليزي. وقد رقي للعمل في التعليم العالي النسوي. ولعل من أهم مؤلفاته التي كانت بعضها بالتأكيد معروفاً للفيلسوفة الشابة إيملي، منها "الطرق الأخلاقية" الصادر عام 1874. و"مبادئ الإقتصاد السياسي" المنشور عام 1883. وكتابه المشهور "موجز النظريات الأخلاقية" المطبوع عام 1886 والذي ترجم إل العديد من اللغات ومنها اللغة العربية. وكتابه المعنون "الأخلاق العملية" الصادر عام 1898 وكتب أخرى (للإطلاع على التفاصيل أنظر: بارت سوشلتز؛ هنري سيدجويك: عيون الكون، سيرة فكرية، نشرة مطبعة جامعة كيمبريدج 2004).

وإضافة إلى الأثر الذي تركه البروفسور سيدجويك، فقد كانت إيملي عضواً ناشطاً في نادي الفلسفة الأخلاقية في جامعة كيمبريدج. كما وكانت معاصرة لكل من برتراند رسل وجورج مور اللذان كانا يومذاك طالبين في جامعة كيمبريدج.

وخصوصاً مور الذي هو الآخر سيكتب من زاوية الفلسفة التحليلية بعض مؤلفاته وأوراقه في مضمار الأخلاقيات. وكان مور موضوعاً في واحدة من مقالتها المدافعة عن إرث إستاذها سيدجويك.

لقد شملت مؤلفاتها على كتابها المشهور "أولويات العلم الأخلاقي" وبحثين ركزت فيهما على الدور الذي تلعبه الشروط الإجتماعية في نمو الشخصية الأخلاقية. كما إنها كانت المدافع العنيد عن الفلسفة الإخلاقية لأستاذها هنري سيدجويك. ولهذا الغرض قامت بكتابة سلسلة مقالات تدور حول نزعة سيدجويك في المتعة الحسية. وعززت ذلك بنشر محاضراته حول كرين وسبنسر ومارتينيو.

أولاً - أولويات العلم الأخلاقي:

يرى الباحثون إن الفيلسوفة إيملي لم تدعي أية أصالة في الأفكار التي عالجتها في كتابها هذا. والكتاب في حقيقته هو مساهمة أكاديمية لتهيأت طلابها على إستكشاف مضمار البحث الأخلاقي. ولذلك كانت الأسئلة التي دار حولها الكتاب تسير في إتجاه توفير المعرفة الأخلاقية وإستكشاف مجال البحث الأخلاقي. فمثلاً تساءلت: ماذا ينبغي أن أعمل؟ وكيف أعرف ماذا ينبغي أن أعمل؟ ولماذا ينبغي أن أعمل ما أراه صحيحاً؟ وهنا ربطت الفيلسوفة الأكاديمية إيملي بين الأخلاق والسياسة.

كما إن مضمار الأسئلة دار حول معرفة وتحديد ما هو خير للإنسانية. وهذا تطلب منها أن تدرس الموضوع أولاً في ضوء النظريات الإجتماعية للإخلاق. وفي هذا الحقل تمثلت أمامها الفضائل التقليدية ومذهب المتعة الحسية. وثانياً عالجت الموضوع الأخلاقي من زاوية نظريات العدالة الأجتماعية. والكتاب فيه جولة تاريخية لما أسمته بالأدابيات اليونانية، وتطور مذهب المتعة الحسية وصولاً إلى نزعته الحديثة عند أنصار المنفعة.

ومن ثم تساءلت: ما المقصود بالخير والصحيح والينبغي؟ وما هو العنصر الذي يتوافر في الشخصية أو السلوك ويكون موضوعاً للقبول أو الإستهجان والرفض؟

ومن ثم تساءلت: هل ماينبغي يتضمن إمكانية؟ وسواء كان الشئ خير بحد ذاته أم لا فأن السؤال: هل يبرر العقاب عندما نفشل في عمل ما ينبغي عمله؟

ثانياً – مقالات مدافعة عن مذهب المتعة الحسية:

إن الوجه المكمل لمكانة الفيلسوفة إيملي في مضمار الأخلاقيات، هو دفاعها عن أستاذها سيدجويك ونزعته الأخلاقية للمتعة الحسية. وهنا يتحدث عنها الباحثون كبطلة من أبطال سيدجويك. وفعلاً فقد كتبت الفيلسوفة إيملي ثلاث مقالات دفاعية:

الأولى كانت بعنوان "تقويم السيد هاي ورد لمضمار الأخلاقيات عند سيدجويك"

الثانية حملت العنوان الآتي "أخلاقيات البروفسور سيدجويك"

الثالثة جاءت بعنوان "السيد مور والمتعة الحسية"

إضافة إلى كل ذلك فقد إختارتها أرملة البروفسور سيدجويك للإشراف على جمع ونشر محاضرات وملاحظات سيدجويك في كتاب، ومن ثم قامت بنشره بعنوان "أخلاقيات كرين، سبنسر ومارتينيو"

تعقيب ختامي:

أصبح واضحاً لنا على أقل تقدير لماذا تجاهل الفيلسوف برتراند رسل* لإكتشاف الفيلسوفة إيملي لنظرية الذاتية، وصمت بعد توافر الدليل على إنه إعتمد على برادلي الذي هو الآخر عدل من مفهومه لقانون الذاتية على أساس نظرية إيملي في الذاتية والتي إقتبس منها بشكل صريح. ولعل دوران رسل في أحاديثه عندما يواجه بقضية إيملي ونظرية الذاتية بين الهروب إلى مضمار "إكتشاف فريجه" الذي هو الآخر إشتغل في وقت واحد على قانون الذاتية، وبين التصريح بأن هناك تشابه كما يبدو بين عمل السيدة إيملي وفريجه، وهذا التشابه كما يرى رسل معروف ومتداول في الأبحاث المنطقية. الدليل على إنه كان الأقرب إلى الأخذ من إيملي التي هي إنكليزية وهو إنكليزي. وهو طالب في كيمبريدج وهي تعمل في كيمبريدج، وقد نشرت كتابها "مبادئ المنطق كعلم للقضايا" مطبعة جامعة كيمبريدج عام

1890 ومن الثابت إن رسل في العام 1897 قدم إطروحته المعنونة "مقالات في أسس الهندسة" والتي أشار فيها إعتماداً على برادلي (وليس على الفيلسوفة إيملي التي إعتمد عليها برادلي) إلى أن جميع القضايا تتضمن قانون الذاتية.

إذن سبع سنوات أكاديمية تتقدم فيها الفيلسوفة إيملي على رسل ودعواه في قانون الذاتية الذي أخذه من برادلي. إنها قضية واضحة وهو رفض ماسوجيني لريادة إمرأة في الأبحاث المنطقية وعلو كعبها على كثير من الرجال العاملين في مضمار البحث المنطقي ومنهم رسل. وفعلاً فقد توفرت لنا رسالة عدائية بعث بها رسل إلى السيدة "أوتلاين مورال" في 14 كانون الثاني 1914. يقول فيها: "المسكينة الأنسة (إيملي) جونز، مديرة كلية كرتن، ومخترعة القانون الجديد للفكر، الأم، العطوفة، والغبية بكل ماتحمله الكلمة من معنى" (أنظر: مراسلات برتراند رسل، نشرة عام 1992، ص 470).

هذا هو الدليل الماسوجيني العدائي للفيلسوفة إيملي لا لسبب سوى إنها مديرة أعلى مؤسسة تعليمية في كيمبريدج، وأكاديمية بزت وتقدمت على الرجال في أبحاثها المنطقية عامة وقانون الذاتية موضوع العدواة من طرف رسل رغم إنه إعتمد عليها في أطروحته وزعم إنها من أختراعاته. وهذه هي ضميمة عداوة رسل وصمته على الحقيقة طويلا وتجاهله للفيلسوفة إيملي جونز.

إن تمسك رسل بالصمت طويلاً وبمنطق الدوران على الرغم من وضوح المسألة. ولدت خيبة لكثير من الباحثين في عصره وعصرنا وذلك لأن منطق الدوران الذي ركبه فيلسوف كبير مثل رسل لم يوفر حلاً مرضياً على الإطلاق. وبالمقابل وجدنا أصوات العدل والموضوعية تقف مع الفيلسوفة إيملي وتثمن أبحاثها المنطقية. فمثلاً لاحظنا أن الفيلسوف البراجماتي الأمريكي، وعالم المنطق "تشالز ساندروز بيرس" قد أعلى من مكانة الفيلسوفة إيملي، وأقتبس من كتابها "مبادئ المنطق كعلم للقضايا" ورأى إن هذا الكتاب يتمتع بسلطة علمية عالية.